سيميولوجيا الصورة في خطاب الأزمات: قراءة في تمثلات الألم والأمل عبر منصات التواصل الاجتماعي في الجزائر (صور العدوان على غزة أكتوبر 2023م أنموذجا)

Semiology of the image in crisis discourse: A reading of representations of pain and hope across social media platforms in Algeria(images of the aggression on Gaza in October 2023 a model)

إبراهيم سواكر *

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر – وحدة ورقلة

b.souaker@crstdla.dz

جموعي تارش

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر – وحدة ورقلة

d.tareche@crstdla.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/24 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النَّشر: 2025/12/16

ملخص:

يُعدّ خطاب الأزمات من أكثر الأنواع الخطابية تعقيدا وحساسية، فهو يعبر عن مواقف ومشاعر وردود أفعال الجماهير إزاء الأحداث الجارية، والصورة عنصر أساسي في هذا الخطاب، كونها تُشكّل في عصر التدفق الرقمي أداة سيميائية فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي وتعبئته، ويسعى المقال إلى فك شفرة الصورة بوصفها بنية دلالية فاعلة في خطاب الأزمات من خلال قراءة في تمثلات الألم والأمل في منصات التواصل الاجتماعي في الجزائر، حيث تتحول هذه المنصات إلى فضاءات لتمثيل المشاعر المتناقضة والتي تستدعى الرموز البصرية لتكون لغة عالمية تخترق الحواجز الثقافية.

الكلمات المفتاحية: خطاب الأزمات؛ سميولوجيا الصورة؛ تحليل الخطاب؛ الألم؛ الأمل.

* المؤلف المراسل

Abstract:

Crisis discourse is one of the most complex and sensitive forms of discourse. It expresses the attitudes, feelings, and reactions of the masses to current events. Images are a fundamental element of this discourse, as they constitute, in the age of digital flux, an effective semiotic tool for shaping and mobilizing collective consciousness. This article seeks to decode images as an effective semantic structure in crisis discourse by examining representations of pain and hope on social media platforms in Algeria. These platforms have become spaces for representing conflicting emotions, calling for visual symbols to serve as a universal language that transcends cultural barriers.

key words: Crisis discourse; Image semiology; Discourse analysis; Pain; Hope.

مقدّمة:

إن سيميولوجيا الصورة كعلم يدرس العلامات والرموز البصرية، توفر إطارا منهجيا قويا لفهم كيفية بناء المعنى في هذه الصور، وكيف تستخدم للتأثير على المتلقي. فليست الصورة مجرد انعكاس سلبي للواقع، بل هي بناء دلالي معقّد، يتفاعل فيه الشكل والمضمون والسياق لإنتاج دلالات متعددة. وفي خطاب الأزمات تتجلّى هذه الدلالات بشكل خاص، حيث تُستخدم الصور لتمثيل الألم الإنساني من خلال إظهار الخسائر والدمار، والمعاناة، مما يثير التعاطف ويحفز الاستجابات الإنسانية. وفي المقابل تُستخدم الصور أيضا لتمثيل الأمل، من خلال إبراز قصص الصمود، والتضامن، والتعافي، مما يعزز المرونة النفسية والاجتماعية.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في الدور المحوري الذي أصبحت تلعبه منصات التواصل الاجتماعي (فيس بوك، X، انستغرام، تيك توك) كمصدر رئيسي للمعلومات وساحة للتعبئة، متجاوزة في كثير من الأحيان الإعلام التقليدي الذي يخضع لضغوط سياسية ورقابية. فقد اتاحت هذه المنصات ما يعرف بـ" صحافة المواطن" حيث يقوم أفراد عاديون وصحفيون ميدانيون كما في تغطية الأحداث في غزة لحظة بلحظة، وتقديم سردية

مضادة للسرديات الرسمية الإسرائيلية، هذا التدفق غير المسبوق للصور من قلب الحدث خلق واقعا إعلاميا جديدا، حيث لم يصبح بالإمكان إخفاء حجم الدمار والمعاناة.

يكتسب هذا المقال خصوصيته من تركيزه على السياق الجزائري، حيث لوحظ تفاعل شعبي ورسمي واسع ومنقطع النظير مع أحداث غزة. فالصور القادمة من هناك لم تكن مجرد أخبار عابرة، بل أصبحت جزءاً من الحديث اليومي الجزائري، من خلال إثارة نقاشات حادة وتفاعلات عاطفية عميقة. يعود هذا التفاعل الكثيف إلى عوامل متعددة، أبرزها الذاكرة التاريخية المشتركة المتعلقة بالاستعمار والنضال من أجل التحرر، والموقف السياسي الثابت للدولة الجزائرية، والارتباط الوجداني والثقافي العميق بالقضية الفلسطينية. لذلك فإن تحليل كيفية تلقّي وتداول وتأويل هذه الصور في الجزائر يقدم مدخلاً فريداً لفهم العلاقة بين الصورة والذاكرة والهوية في سياق ما بعد كولونيالي.

سيعتمد المقال على المنهج السيميولوجي التحليلي، الذي يركز على تفكيك الصور إلى مكوناتها الأساسية(الدوال) وتحليل دلالاتها (المدلولات) في سياق خطاب الأزمات.

وبناء على ما سبق تتمحور إشكالية هذا المقال حول السؤال الرئيسي التالي:

كيف تتجلّى سيميولوجيا الصورة في خطاب الأزمات عبر منصات التواصل الاجتماعي في الجزائر، وما هي تمثلات الألم والأمل التي تُبنى من خلالها؟ وماهي العلامات والرموز البصرية السائدة في هذه الصور، وما هي حمولاتها الدلالية الصريحة والضمنية التي تشكل خطابا متماسكا؟

أولا: السيميولوجيا النقدية: آليات تفكيك الخطاب والتمثيل البصري

يحتاج فهم الأبعاد العميقة للصورة تجاوز النظرة السطحية التي تعتبرها مجرد "نوافذ على الواقع". فالصورة بناء معقد كونها ممارسة خطابية تنتج المعنى وتوجهه، مما يستوجب تحليل البنية الداخلية لها، وتحليل الخطاب لفهم وظيفتها.

1. المقاربة السيميولوجية للأنساق البصرية

السيميولوجيا كما تصورها فرديناند دي سوسير، بأنها العلم الذي يُعنى بدراسة العلامات داخل سياقها الاجتماعي[1]، أي كيف يتم استخدام أو توظيف العلامات للتواصل والتفاعل داخل المجتمع. وتفترض هذه المقاربة أن الممارسات الثقافية بما فيها الصور، تعمل عمل اللغة، أي أنها أنظمة من العلامات التي يمكن تفكيكها وتحليلها، ليتطور هذا المنهج فيما بعد على يد المفكر الفرنسي رولان بارت ليصبح أداة نقدية فعالة في تحليل الصور، مقدما مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي ستكون مفاتيح لتحليلنا.

يشير رولان بارت في كتابه بلاغة الصورة إلى كيفية بناء الصورة للمعنى من خلال الدلالة، ويلمح إلى ان المعنى المضمر في الصورة يختلف باختلاف معرفة الشاهد وثقافته وخبراته، فالصورة ليست مجرد انعكاس للواقع، بل هي تمثيل لفكرة أو مفهوم ولها القدرة على سرد أحداث أفضل من الكلمات[2].

ويتم توظيف عديد المفاهيم الأساسية في تحليل الأنساق البصرية من بينها تحليل رولان بارت من خلال كتابه" بلاغة الصورة":

- **الدال (Signifier) والمدلول (Signified)**: العلامة تتكون من عنصرين: الدال وهو الشكل المادي (الصورة، الكلمة، الصوت)، والمدلول وهو المفهوم الذهني المرتبط به. فعلى سبيل المثال صورة مبنى مدمر بالكامل هي " الدال"، أما مفهوم " الوحشية" أو "الدمار الشامل"، أو " جريمة الحرب" الذي تستدعيه هذه الصورة في ذهن المتلقي " المدلول.
  - **الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية:** والتمييز بين الدلالتين هو مفتاح التحليل السيميولوجي.
  - **الدلالة الصريحة(التقريرية):** هي المعنى الحرفي والمباشر للصورة، ما يمكن لأي شخص وصفه بموضوعية، فهي جواب على سؤال:" ماذا نرى في الصورة؟ ومثال ذلك رؤية طفل يبكي وسط الركام.

- **الدلالة الضمنية(الايحائية):** هي المعاني الثانوية الثقافية، والأيديولوجية التي تحملها الصورة. فهي إجابة عن السؤال:" بماذا توحي الصورة؟ " في المثال السابق رؤية طفل يبكي وسط الركام، فقد توحي الصورة بـ "البراءة المغتالة " " قسوة الحرب"، " فشل المجتمع" " وحشية الكيان الإسرائيلي". هذه المعاني ليست في الصورة ذاتها، بل تتشكل من خلال تفاعل الصورة مع المخزون الثقافي والوجداني للمتلقي.
- **الأسطورة:** يرى رولان بارت أن الأسطورة هي المستوى الثالث من الدلالة، حيث تتحول الدلالات الضمنية المتكررة إلى حقائق طبيعية ومسلمات لا تناقش، فهي عملية ترسيخ للأيديولوجيا، فعلى سبيل المثال التكرار المكثف لصور الضحايا الفلسطينيين ما مكن أن يبني " أسطورة الضحية الأبدية"، بينما التكرار المكثف لصور رفع العلم يمكن أن يبني "أسطورة الصمود الذي لا يقهر"، فالأسطورة تحول التاريخ إلى طبيعة والثقافة إلى حقيقة بديهية.

2. خطاب الأزمة في الفضاء الرقمي:

لا يمكن فهم الصور بمعزل عن الخطاب الذي تنتمي إليه، فخطاب الزمة ليس مجرد نقل للمعلومات عن حدث طارئ بل هو ممارسة اجتماعية تهدف إلى إدارة المعنى، بناء الهويات، وتوجيه السلوك في أوقات النزاع، والتي تهدف إلى استعادة الصورة أو تعزيزها[3]. مما يجعلنا نستلهم من أعمال ميشال فوكو فكرته الأساسية بأن الخطاب مرتبط بالسلطة.

فالخطاب بما فيه الخطاب البصري يمارس السلطة عبر تحديد ما هو "حقيقي" وما هو "مقبول"، وكيف يتم من خلاله بناء ذوات الفاعلين (Subject). على سبيل المثال، الخطاب البصري حول غزة يبني هويات متقابلة عديدة: " الضحية البريئة"، المقاوم الصامد"، المعتدي الوحشي،" المتضامن الفاعل". كل صورة تساهم في ترسيخ إحدى هذه الهويات وتضعف الأخرى[4].

في هذا السياق تعمل منصات التواصل الاجتماعي كساحة خطابية فريدة، فهي من جهة تتيح للدعاية الرسمية (Propaganda) الانتشار السريع، ومن جهة أخرى تُمكّن من ظهور خطابات مضادة (counter-narratives) تتحدى السرديات المهيمنة. فالصور القادمة من غزة والتي يشاركها الصحفيون والمواطنون هي مثال حي على هذا الخطاب المضاد الذي يسعى إلى كسر احتكار السردية التي تمارسها دولة الكيان الإسرائيلي ومن يدعمها[5].

ثانيا: تحليل التمثيلات البصرية: جدلية الألم والأمل

من خلال التحليل السيميولوجي للصور المتداولة في الفضاء الرقمي الجزائري نكتشف وجود خطاب بصري منظم، وإن كان عفويا في إنتاجه الفردي، فهو يقوم على جدلية ثنائية أساسية:

خطاب الألم الذي يهدف إلى فضح وتوثيق وتعرية العدوان، وخطاب الأمل الذي يهدف إلى التأكيد على الصمود والهوية وتحدي الموت.

هذان الخطابان متداخلان حيث غالبا ما ينبثق الأمل من قلب الألم ذاته.

1. سيميولوجيا الألم وفضح المأساة

شكلت صورة الألم والمأساة الجزء الأكبر من المحتوى البصري المتداول، وكانت بمثابة السلاح الأساسي في معركة السرديات لمواجهة الرواية الإسرائيلية التي حاولت تصوير عملياتها كدفاع عن النفس، حيث يمكن تصنيف هذه الصور إلى ثلاث أيقونات رئيسية:

أ. أيقونات الدمار والخراب:

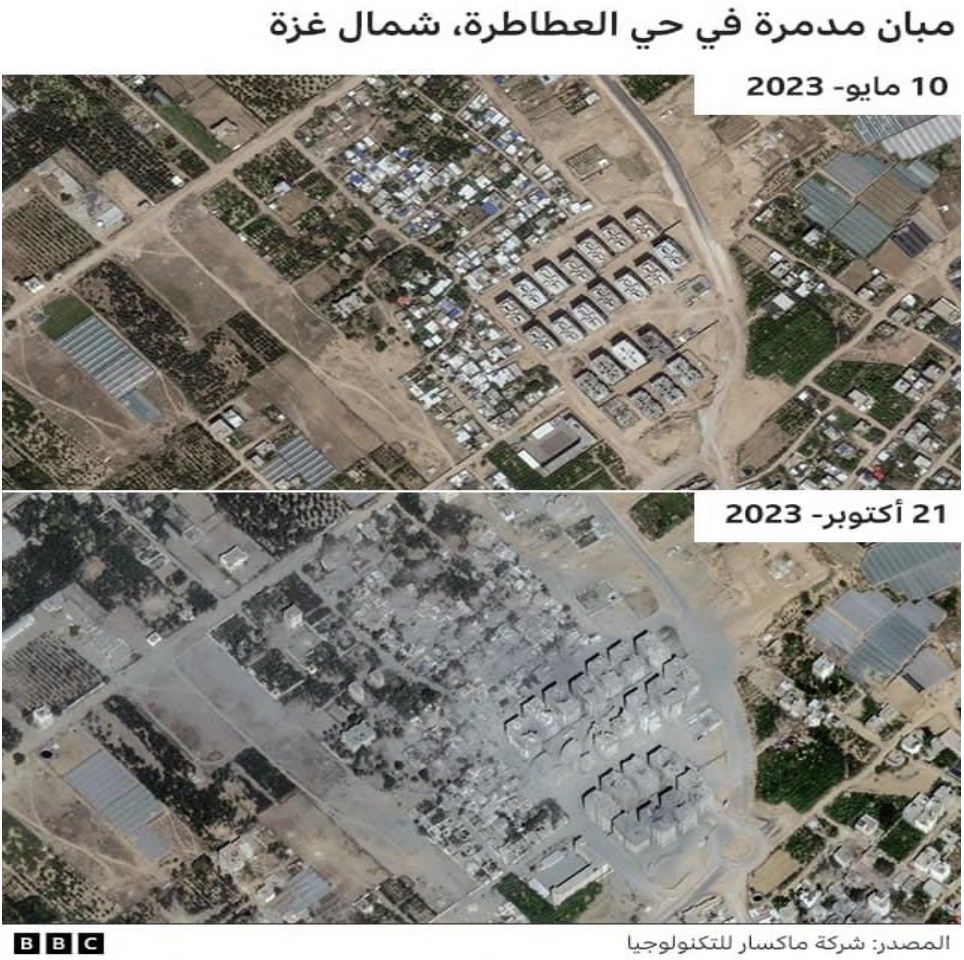
التحليل التقريري: تظهر في هذه الصورة مشاهد بانورامية لأحياء سكنية كاملة وقد سويت بالأرض، كتل خرسانية متراكمة، حديد تسليح ملتو، وأعمدة دخان أسود كثيف تتصاعد في السماء. الألوان السائدة هي الرمادي (لون الركام والغبار)، والأسود (لون

الدخان والدمار). وغالبا ما تكون زاوية التصوير مرتفعة (لقطات جوية أو من طائرات بدون طيار) لإظهار حجم الدمار الهائل.

التحليل الإيحائي: في هذا التحليل تتجاوز الصور مجرد توثيق الضرر المادي.

الدال: أحياء مدمرة بالكامل

المدلول: سياسة " الأرض المحروقة"، " العقاب الجماعي"،" محو الذاكرة والمكان"، هذه الصور تستدعي مصطلحات سياسية وقانونية مثل " جرائم الحرب" و " الإبادة الجماعية" (وهو مصطلح تكرر بكثافة في الخطاب العربي المصاحب للصور)، فهي تفكّك أسطورة " الضربات الدقيقة" التي يروج لها جيش الكيان الإسرائيلي، وتكشف عن استهداف ممنهج للحياة المدنية وهنا مشهد توضيحي لبعض الدمار في غزة:



صورة1: صورة أقمار صناعية تظهر حجم الدمار في حي العطاطرة شمال غزة بين مايو وأكتوبر 2023.

تُظهِر الصورة مشهدا واسعا لمدينة مدمرة بالكامل، حيث تحولت المباني إلى ركام وأنقاض، حيث لا تظهر أي علامات للحياة أو وجود بشري واضح، مما يعطي انطباعا بالخراب الشامل، فهي تجسيد مادي للألم والمعاناة التي لحقت بالبنية التحتية والممتلكات. وحجم الدمار يعكس حجم الكارثة الإنسانية والخسائر الفادحة. والغياب البشري في الصورة يزيد من الإحساس بالخراب واليأس، كما ترمز الصورة إلى فقدان المنازل، المأوى

والأمان وكل ما يربط الإنسان بمكانه. وعلى الرغم من الألم الذي تعكسه الصورة، فإنها قد تحمل دلالة ضمنية للتحدي، حيث أن هذا الدمار يستدعي الإصرار على إعادة البناء والصمود[6].

ب. أيقونة صورة الجسد المتألم: الضحايا والجرحى

التحليل التقريري: لقطات مقربة (Close-ups) على وجوه مغبرة ومصدومة، آباء يحملون أطفالهم الشهداء الملفوفين بالأكفان، أطباء يحاولون إسعاف جرحى على أرضيات المستشفيات المكتظة، التركيز البصري يكون على الدم، الجروح، والدموع. الأطفال والنساء يحتلون الصدارة في هذه التمثيلات مما يجعل الصورة أكثر تأثيرا عاطفيا.

التحليل الإيحائي: في هذا المستوى التحليلي تصل الصورة إلى ذروة قوتها الخطابية.

الدال: طفل جريح أو شهيد.

المدلول:" البراءة المغتالة"،" انتهاك صارخ للإنسانية"، " الظلم في أقسى صورة". هذه الصورة تحول الضحية من مجرد رقم في احصائيات القتلى[7]، إلى قصة إنسانية ملموسة، حيث تستدرج التعاطف العالمي بقوة وتعمل كدليل إدانة أخلاقي يتجاوز القانون الدولي، كما أنها تفضح هشاشة الجسد البشري في مواجهة آلة الحرب، وهو ما نجد مثالا في الكتاب الموسوم بـ: " إزاء ألم الآخرين" للمؤلفة سوزان سونتاغ، حيث تؤكد أن الصور الفوتوغرافية قدمت شهادات مروعة عن الحالة الإنسانية لا يمكن للنص وحده نقلها [8].



صورة1 : صورة طفل يعاني من سوء تغذية حاد يرقد في أحد مستشفيات غزة، مما يسلط الضوء على الأزمة الإنسانية الحادة.

ج. أيقونة تمثيلات النزوح والحصار:

التحليل التقريري: حشود بشرية هائلة تسير على الأقدام في طرق مدمرة، حاملين معهم القليل من الأمتعة. إضافة إلى مشاهد لخيام مكتظة في مساحات ضيقة، أيضا طوابير طويلة للحصول على الماء أو الخبز. الصور تظهر بيئة غير صالحة للحياة، حيث انعدمت أبسط مقوماتها.

التحليل الإيحائي:

الدال: طوابير النازحين والخيام.

المدلول: " التهجير القسري"، " النكبة المستمرة". هذه الصور تستدعي بقوة الذاكرة التاريخية لنكبة 1948م، وتؤكد على استمرارية المشروع الاستعماري، كما أنها ترمز إلى

"الحصار منزوع الإنسانية" وتستخدم كدليل على استخدام التجويع كسلاح حرب وهو ما جاء في تقارير عديدة، تم اختزال صورة الانسان أنها مجرد جسد يبحث عن البقاء.

2. سيميولوجيا الأمل والصمود

في مقابل خطاب الألم الطاغي برز خطاب بصري موازٍ، أقل انتشارا ربما، ولكنه لا يقل أهمية من الناحية الدلالية، فهو خطاب" الأمل" الذي يرفض اختزال الفلسطيني في صورة الضحية السلبية، ويقدمه كفاعل صامد ومتشبث بالحياة والهوية.

أ. أيقونات الصمود والمقاومة الرمزية

التحليل التقريري: شاب يرفع العلم الفلسطيني فوق أنقاض منزله، أطفال يرسمون العلم على وجوههم أو على جدران الخيام، الكوفية الفلسطينية تظهر كرمز متكرر يرتديه الشباب والكبار، صحفيون يرتدون سترات" press" ويواصلون عملهم رغم المخاطر. لقطات لأطفال يرفعون شارة النصر بأصابعهم الصغيرة.

التحليل الإيحائي:

الدال: ممارسات يومية (لعب، تعلم، عزف) في سياق غير عادي.

المدلول: "إرادة الحياة"، "الإنسانية الكامنة"، " رفض الاستسلام". هذه الصور هي خطاب مضاد قوي، فهي تقول إن الحياة تستمر رغم الموت، وإن الفلسطينيين ليسوا مجرد أجساد متألمة، بل هم أيضا بشر لديهم أحلامهم وطموحاتهم وثقافتهم وقدرتهم على خلق لحظات من الجمال والفرح في قلب ووقت المأساة، صورة الطفلة والقطة، كمثال وتمت دراستها في سياقات مقارنة[9] كحرب غزة وأوكرانيا، فهي ترمز إلى التعلق بالحياة والرحمة، والبحث عن علاقة طبيعية في عالم غير طبيعي.



صورة 2: أطفال فلسطينيون يجلسون على إطار سيارة وسط أنقاض المباني، في مشهد يجسد استمرارية الحياة رغم الحرب والدمار.

تُظهِر الصورة أطفالا يجلسون فوق إطار سيارة يمارسون نشاط اللعب، يبدو عليهم الانسجام، والخلفية تظهر دمارا هائلا حواليهم، مما يوحي بأنهم يلعبون وسط الركام، وتجسد الصورة الأمل في استمرارية الحياة رغم قساوة الظروف المحيطة بهم، فلهو الأطفال يرمز إلى البراءة التي ترفض الاستسلام لليأس، وإلى القدرة على إيجاد الفرح حتى في أصعب الظروف، وجودهم وسط الركام يعزّز هذه الدلالة. حيث يمثلون الأمل في مستقبل أفضل رغم التهجير، والأطفال يمثلون الجيل الجديد الذي يحمل الأمل في الصمود والمقاومة، وان الحياة تستمر رغم كل التحديّات. فبراءة الأطفال تعكس جانبا من الحياة الطبيعية التي يحاول الفلسطينيون الحفاظ عليها رغم الحرب[10].

ب. أيقونة تمثيلات التضامن (في السياق الجزائري):

صورة 4: حشود من المتظاهرين في الجزائر رافعين الأعلام الفلسطينية تعبيرا عن التضامن الشعبي مع غزة والمقاومة



صورة 4: قافلة مساعدات جزائرية متوجهة نحو غزة قصد تقديم المساعدة ومحاولة تخفيف المعاناة.

التحليل التقريري: في الصورة الأولى لمسيرات ومظاهرات شعبية حاشدة في عديد المدن الجزائرية، يرفع فيها المتظاهرون الأعلام الجزائرية والفلسطينية جنبا إلى جنب، مع لافتات تحمل شعارات تدين العدوان والحصار وتدعم المقاومة. وفي الصورة الثانية صور لقوافل المساعدات الإنسانية التي انطلقت من الجزائر صوب غزة قصد تقديم المساعدات لأهل غزة هناك مساعدات إنسانية يقدمها الجزائريين سواء على الصعيد الرسمي من خلال

الهلال الأحمر الجزائري أو من خلال الجانب الشعبي من خلال الجمعيات الخيرية التي تقوم بجمع التبرعات وإيصالها لأهل غزة.

التحليل الإيحائي:

الدال: جماهير، أعلام جزائرية وفلسطينية، شاحنات وعلب سلع

المدلول: التضامن الشعبي المطلق، وحدة المصير، رفض التطبيع. هذه الصور تبني خطابا موجها للخارج والداخل. للخارج هي رسالة مضمونها الدعم المطلق واللامشروط للقضية الفلسطينية وتأكيد على الموقف الجزائري الرسمي والشعبي الثابت. وللداخل هي تعزيز الوحدة واللحمة الوطنية حول قضية مركزية وتأكيد على الهوية التحررية للجزائر ومساندتها لقضايا التحرر، ودمج العلمين ليس محض الصدفة بل هو علامة سيميائية قوية على تماهي التجربتين في الوعي الجمعي، حيث تستحضر معاناة الفلسطينيين ذاكرة الثورة التحريرية الجزائرية[11].

من خلال ما سبق وعرض لموضوعات الصور المتداولة في الجزائر، يمكن القول إنه في جزئية: من الصورة إلى الخطاب في السياق الجزائري، تحليل التمثيلات البصرية لجدلية " الألم" و "الأمل" يكشف عن ديناميكيات معقدة تتجاوز مجرد العرض العاطفي للأحداث، فالصور كما تم تداولها في السياق الجزائري، فهي تعمل كأدوات فعّالة في معركة السرديات، وتكتسب دلالات خاصة عند تفاعلها مع الذاكرة الجماعية والثقافة السياسية المحلية.

ثالثا: الصورة كأداة في معركة السرديات

من خلال الصور التي تم عرضها في العنوان السابق، تؤكد النتائج أن الخطاب البصري المتداول ليس عشوائيا، بل هو استجابة مباشرة ومنظمة لسردية الكيان الاسرائيلي المحتل المهيمنة. ففي حين تركّز الدعاية الإسرائيلية على الحق في الدفاع عن النفس وتصوير حركة المقاومة حماس كمنظمة إرهابية[12]، يأتي خطاب " الألم" البصري (صور الدمار والضحايا

المدنيين) ليعمل كخطاب مضاد قوي هدفه ليس فقط استدرار التعاطف، بل هو فعل "فضح" (Dénonciation) ويهدف إلى:

- **نزع الشرعية عن الفعل العسكري:** من خلال إبراز التكلفة الإنسانية الباهظة وغير المتناسبة، تتحول الرواية من ‘‘حرب على الإرهاب" إلى "عدوان على شعب أعزل.
- **إعادة تأطير الفاعلين:** بدلا من " إرهابي" مقابل " دولة ديمقراطية"، يصبح الإطار هو "جلاد" مقابل " ضحية".
- **تفعيل القانون الدولي والأخلاق العالمية:** الصور تعمل كـ " أدلة" بصرية على جرائم حرب موجهة ليس فقط للعامة، بل أيضا لصناع القرار والمؤسسات االدولية.

في المقابل يعمل خطاب "الأمل" كخطاب مضاد من مستوى ثانٍ، إنّه يرفض اختزال الهوية الفلسطينية في صورة الضحية السلبية والمستسلمة. صورة الصمود والمقاومة الرمزية واستمرارية الحياة تقدم سردية بديلة تركّز على الفاعلية (Agency)، والكرامة (Dignity). هذه السردية ترفض منطق الإبادة، ليس فقط بالصراخ من الألم بل بالإصرار على الحياة. إنّها تقول للمعتدي:" يمكنك تدمير أجسادنا ومنازلنا، لكن لا يمكنك تدمير هويتنا وإرادتنا في الوجود ". هذا الخطاب مهّم بشكل خاص للحفاظ على الروح المعنوية وتجنب اليأس، سواء داخل فلسطين المحتلة أو بين المتضامنين في الخارج.

➢ **خصوصية التلقي في الجزائر:**

لا يمكن فهم كثافة التفاعل الجزائري مع هذه الصور دون ربطها باللاوعي الجمعي الجزائري. فالدلالات الضمنية (Connotation) التي تحملها الصور تتفاعل بشكل فريد مع الذاكرة والتاريخ الجزائري:

- **استحضار ذاكرة الثورة التحريرية:** صور الدمار والتهجير والضحايا المدنيين ليست مجرد مشاهد من بلد بعيد؛ إنها تستحضر بشكل مباشر ذاكرة الحرب التحريرية الجزائرية (1954م- 1962م). مشاهد القصف العشوائي للمدن والقرى، سياسات الأرض

المحروقة، والتهجير القسري هي جزء من تاريخ الجزائر المكتوب بالدم. هذا التماهي التاريخي يحوّل التعاطف إلى " تضامن عضوي"، حيث يرى الجزائري في الفلسطيني امتدادا لنضاله ضد الاستعمار.

- **رمزية الصمود في الثقافة الجزائرية:** مفهوم الصمود له مكانة مركزية في الهوية الوطنية الجزائرية، فالشعب الذي صمد في وجه استعمار استيطاني لأكثر من 130 عاما، وقدّم تضحيات جسام، فهو يرى في صمود الفلسطينيين انعكاسا لقيمه ومبادئه. لذلك فإن صور الأمل والصمود تلقى صدى خاصاً وعميقاً، لأنّها تؤكد على سردية مألوفة ومقدّسة في الوجدان الجزائري.
- **رفض التطبيع كجزء من الهوية السياسية:** الموقف الشعبي والرسمي الجزائري الرافض للتطبيع مع الكيان الإسرائيلي يجعل من التفاعل مع القضية الفلسطينية فعلا من أفعال تأكيد الهوية السياسية الوطنية. مشاركة الصور والتعبير عن التضامن يصبح وسيلة للتأكيد على هذا الموقف المبدئي، وتتميز الذات عن السياقات الإقليمية الأخرى التي اتخذت مسارات مختلفة.

➢ **حدود الخطاب البصري:**

على الرغم من قوة الخطاب البصري وتأثيره الشديد من خلال التفاعل إلا أنه يواجه تحديات وحدودا عدّة وجب الوقوف عندها وعدن إغفالها:

- **خطر التضخم البصري وإعياء التعاطف (Compassion Fatigue):**

كما أشارت سوزان سونتاغ في هذا الجانب إلى ان التعرض المستمر والمكثف لصور الفظائع قد يؤدي بمرور الوقت إلى تبلد المشاعر وفقدان التأثير. عندما تصبح المشاهد المروعة عادية، فإنّها تفقد قدرتها على الصدمة والتعبئة، وهذا يطرح تحدّياً أمام النشطاء حول كيفية الحفاظ على زخم التضامن دون التسبب في إرهاق الجمهور[13].

- **قضية التضليل البصري (Visual Misinformation)**

الفضاء الرقمي هو أيضا ساحة للتضليل فقد تم تداول صور من نزاعات أخرى كسوريا والعراق أو صور تم تركيبها وإنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي على أنها من غزة[14]. هذا الأمر يمكن أن يضعف مصداقية الخطاب المضاد ككل، ويتطلب من الجمهور درجة عالية من الوعي والقدرة على التحقق، وهو أمر ليس متاحاً للجميع دائماً.

○ **الأخلاقيات وتمثيل الألم:** يطرح النشر المكثف لصور الضحايا، خاصة الطفال، أسئلة أخلاقية معقدة حول " الحق في الصورة" وكرامة الضحايا. هل يساهم نشر هذه الصور في " استعراض الألم" (Spectacle of Pain)؟ أم أنه ضرورة سياسية لفضح الجريمة؟ إنه توتر مستمر بين واجب التوثيق واحترام كرامة الإنسان، وهو نقاش حاضر بقوة في دراسات أخلاقيات التصوير الصحفي في مناطق النزاع.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكننا التأكيد على أن الصور في خطاب الأزمات، لا سيما في سياق العدوان على غزة في أكتوبر 2023، تتجاوز كونها مجرد وسيلة لنقل المعلومات لتصبح أداة سيميولوجية قوية قادرة على بناء وتشكيل تمثلات الألم والأمل لدى المتلقين. من خلال تطبيق المنهج السيميولوجي والذي من خلاله استطعنا تفكيك مستويات الدلالة الظاهرة والكامنة في الصور المتداولة عبر منصات التواصل الاجتماعي، كما تم الكشف عن الآليات البصرية واللغوية التي تساهم في تعزيز هذه التمثلات.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

– أظهر التحليل أن صور الم في خطاب الأزمات تتميز بتعدد دلالاتها، حيث لا تقتصر على تصوير الدمار المادي والمعاناة الجسدية فقط، بل تمتّد لتشمل الألم النفسي، وفقدان الأمان. وأيقونات الدمار، الجثث، الجرحى من الأطفال والنساء، كلها تساهم في بناء سردية بصرية للألم العميق والمأساة الإنسانية. هذه الصورة تهدف إلى إثارة التعاطف العالمي والدعوة إلى وقف العنف.

– بناء الأمل من رحم المعاناة رغم قسوة الألم، فإن الصور تحمل في طياتها دلالات قوية للأمل والصمود. أيقونات الصمود والمقاومة، التضامن والمساعدة، استمرار الحياة والبقاء، والرموز الدينية والوطنية، كلها تعمل على بثّ رسائل إيجابية تعزز من الروح المعنوية وتدعو إلى التفاؤل.

– كان للرسالة اللغوية دور محوري مصاحب للصور (العناوين– التعليقات– الهاشتجات) في ترسيخ أو تضافر دلالات الألم والأمل.

– أثبتت منصات التواصل أنها ليست مجرد قنوات لنقل الصور، بل هي فضاءات حيوية للتفاعل، حيث يشارك الجمهور في بناء وتشكيل خطاب الأزمة من خلال إعادة النشر والتعليق، والتعبير عن المواقف. هذا التفاعل يعكس الوعي الجمعي والتضامن، خاصة في السياق الجزائري الذي يتميز بارتباطه التاريخي والوجداني بالقضية الفلسطينية.

– أظهر البحث أن السياق الثقافي والسياسي الجزائري يلعب دورا مهما في تأويل الصور وتشكيل تمثلات الألم والأمل، فالتاريخ النضالي للجزائر وتضامنها المستمر مع القضية الفلسطينية يجعل الجمهور الجزائري أكثر حساسية وتفاعلا مع هذه الصور، مما يعزّز من دلالات الصمود والمقاومة والأمل في النصر.

الهوامش

[1] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص 11.

[2] مجموعة مو،بحث في العلامة المرئية – من أجل بلاغة الصورة– ترجمة: سمر محمد سعد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012، ص 52.

[3] Xiping Wang, Surinderpal Kaur, Noor Aqsa Nabila Mat Isa, & Sheena Kaur, mage restoration strategies in pandemic crisis communication: a comparative analysis of Chinese and American COVID-19 political speeches,Humanities & Social Sciences Communications,U S A. vol 11, N1334,2024, P 04. https://doi.org/10.1057/s41599-024-03825-5

[4] Stuart Hall's, Representation: Cultural Representations and Signifying Practices. London: Sage Publications, t 1997, p 6.

[5]Ahmet Alioglu (Al-Burai), Digital Occupation: Pixelated Propaganda, Censored Platforms and the Battle for Narrative in Gaza, 5 May 2025, Date of access 22 August 2025.
https://studies.aljazeera.net/en/analyses/digital-occupation-pixelated-propaganda-censored-platforms-and-battle-narrative-gaza

[6] محمد أحمد العووادة، عبد السلام أندلوسي، دلالة الصورة الصحفية حول الحرب على غزة 2023–2024 في المواقع الإلكترونية الإخبارية الفلسطينية (دراسة تحليلية مقارنة)، أطلع عليه: (2025/08/24)
https://doi.org/10.33193/JALHSS.103.2024.1067

[7] الأزمة في غزة: ما الذي يجب أن نعرفه وكيف نساعد: https://www.rescue.org/crisis-in-gaza
تاريخ الاطلاع: 2025/08/22.

[8] Susan Sontag, Regarding the pain of others, New York: Farrar, Straus and Giroux; 2003, p 18.

[9]Asmaa Elmously, No One Behind: A Visual Sentiment Analysis of Refugees from Gaza and Ukraine Saving Their Pets, Springer Nature, International Journal for the Semiotics of Law - Revue internationale de Sémiotique juridique, Volume 38, Issue 7, May 2025, p 2534.
https://doi.org/10.1007/s11196-025-10293-w

[10]بالصور.. أطفال غزة أمل لا ينكسر،أطلع عليه يوم:(2025/08/24)
https://www.aljazeera.net/gallery/2024/11/12/%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%A3%D9%85%D9%84-%D8%A7%D9%84-%D9%8A%D9%86%D9%83%D8%B3%D8%B1

[11] مساعدات الجزائر لغزة: تاريخ الاطلاع: 2025/08/23
https://news.radioalgerie.dz/ar/node/43142

[12] Ahmet Alioglu (Al-Bura ، المرجع نفسه،
https://studies.aljazeera.net/en/analyses/digital-occupation-pixelated-propaganda-censored-platforms-and-battle-narrative-gaza

[13] Susan Sontag, Previous reference, p 22.

[14] A group of students, Gaza Through Whose Lens? Breaking Apart U.S. Coverage of the Israel-Hamas War, https://features.csis.org/gaza-through-whose-lens/index.html